



المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية



اللقاء السنوي الخامس

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

في الفترة من ١٢ - ١٥/١١/١٤١٣ هـ



الرقم التسلسلي ١٥

أصول التربية في الإسلام

بحث بعنوان :

الدكتور أحمد عصام الصفدي

اسم الباحث :

أصول التربية في الإسلام

مفاهيمها وقواعدها

بحث مقدم للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية
للقاء السنوي الخامس تحت عنوان :

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

المنعقد في الفترة من ١٢ - ١٥ ذي القعدة ١٤١٣هـ

إعداد

د. أحمد عصام الصفدي

المحتويات

الصفحة	
١	أولا : المقدمة
٢	ثانيا : الاصل والتأصيل
٥	ثالثا : التربية والتعليم
٦	رابعا : أصول التربية
٧	خامسا : المصادر الاصولية للتربية الاسلامية :
٧	١- تصورات وأسس عامة من القرآن الكريم
٩	٢- قواعد تربوية من السنة النبوية
١٥	سادسا : المصادر التبعية للتربية الاسلامية
١٦	١- آراء تربوية مقتبسة من تاريخ المرين المسلمين
١٧	٢- خبرات مستقاة من تجارب الآخرين
١٨	سابعا : التصور الاسلامي
١٩	ثامنا : القواعد العامة للتأصيل التربوي
٢١	المراجع

أصول التربية الإسلامية في الإسلام مفاهيمها وقواعدها

ملخص البحث

تتمتع الشعوب والأمم بصفات وسجايا تفتن بطريقة معيشتها في الحياة ، أو بالمبدأ الذي تحمله . إلا أن هذه السجايا الأصلية تغيب - خاصة في الأمم المبدئية - إذا الأمة ابتعدت عن نظرتها وفلسفتها في الحياة التي تستمد منها مفاهيمها الكلية وطريقة معيشتها . ثم إن هذه السجايا قد تعود إليها إذا حاولت الأمة صقلها ، وذلك لأنها متصلة فيها .

لم يع الجيل الحاضر من الأمة الإسلامية على الإسلام كنظام حياة وطريقة معيشة وعيا تاما بعد أن ابتعدت به المسافة بينه وبين جذور الإسلام ، لذلك فهو حين يتكلم عن الإسلام إنما يتصوره تصورا ذهنيا من خلال قراءاته للكتب التي تملأ أرفف المكتبات .

وجاء هذا الابتعاد عن الأصالة حين اتخذ الغرب وسائل عديدة لصرف المسلمين عن دينهم وطريقة معيشتهم ، وحبب إليهم التقليد ، وأبعدهم عن الحياة الإسلامية ، وربط أمانهم بأمانه وسلطانهم بسلطانه .

تمثل هذا الصرف في أشكال من الغزو ، منها : الغزو العسكري ، والغزو السياسي ، والغزو الاقتصادي ، والغزو الاجتماعي ، والغزو الفكري ، والغزو الثقافي ، والغزو التربوي .

ولم تبطل أمة بهذا البعد عن الجذور كما ابتليت الأمة الإسلامية . وأشد ما يلاحظ هذا الابتعاد في مناهج التعليم ، فلا تكاد ترى مضمونا معرفيا - خارج العلوم الدينية - تستق مفاهيمه ويصاغ علمه من منطلق إسلامي ، ناهيك عن

ب

تصميم مواد دراسية بتركيب اسلامي . أسباب الغربية التعليمية عديدة ومتنوعة إلا أن أهمها هو اتخاذ التجربة التعليمية الغربية مثال يحتذى والتقليد الأعمى لها . ولما كان التعليم الغربي قد اشتقت ممارساته من فلسفة الغرب الديمقراطية وعقيدته العلمانية ، لذا كان التعليم الذي انتقل إلى المسلمين ويطبق عليهم غريب عن ثقافتهم ونظم حياتهم وعقيدتهم .

المشكلة الأساسية ، إذن ، في تبني الأسس الغربية الدخيلة ، والحل يكمن في تأصيل التعليم وفق أسس تربوية إسلامية . لذلك كان الهدف من البحث الوقوف على أصول التربية في الإسلام . ويتم ذلك بتحديد مفهوم الأصل ، ومفهوم التأصيل ، ومفهوم التربية والتعليم ، من خلال المعاني اللغوية والشرعية والاصطلاحية ، ومصادر الثقافة الإسلامية ؛ ومن ثم الوصول إلى تصور اسلامي تشتق منه أسس التربية وقواعدها التي هي : مجموعة القواعد التي يتوصل بها إلى ابتناء العملية التعليمية وفق تصورات اسلامية .

ومن هنا يحاول البحث أن يتوصل إلى تحديد بعض القواعد العامة للتربية في الإسلام من خلال المصادر والتصورات الاسلامية .

توصل البحث إلى هذه القواعد بإصباح أساليب الاستدلال النظري وهو أسلوب « التفسير النقدي » ، واقتضى ذلك تحديد المفاهيم الرئيسة للبحث من خلال المعاني اللغوية ، والمعاني الشرعية والاصطلاحية الشرعية ، والمعاني العرفية ، والمعاني الاصطلاحية العصرية .

والمفاهيم الرئيسة ، هي :

١- الأصل والتأصيل :

الأصل في اللغة العربية له عدة معان منها : أنه ما يبتنى عليه ، أو هو

أسفل كل شيء ، وجمعه أصول . والتأصيل هو أن يكون للشيء أصل أي أن يبنى على أصل أصيل أو أساس ثابت .

وقد وصل البحث بمناقشة الاصل والتأصيل إلى أن أصل الشيء أو تأصيله هو أن يركز على أصل صحيح ويتمخض عن قواعد قويمة . وهذه القواعد - كما الشأن في البناء - هي التي تحدد شكل البناء كله وتدمر أرياب العلاقة إلى الالتزام به . لذا فإن تأصيل التربية لا يعني تأصيل التربية على قواعد أساسية فحسب ، بل ويلزم القائمين على العملية التعليمية بهذه القواعد كلها .

٢- مفهوم أصول التربية :

أصول التربية والتعليم هي : القواعد التي يتوصل بها إلى ابتناء العملية التعليمية . فبحث أصول التربية والتعليم بحث في القواعد الاصولية للتربية من جانب ، وفي مناهج الدراسة وأساليبها من جانب آخر .

٣- المصادر الاصولية للتربية الاسلامية والمصادر التبعية :

إن مصدر المنهج التعليمي هو مصدر كل أنظمة الحياة ، إنه وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم . يقول تعالى في سورة النساء آية ١٧٤ : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا » .

لذا كان المصدر في الاسلام ربانيا أي من الله نزل به الروح الامين على محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثمرات ربانية المصدر : العصمة من التناقض ، عدم التحيز للأهواء ، الانقياد التام لكل ما جاء عن الله ، التحرر من عبودية العبد للعبد ، والشمول .

ومن الناحية التربوية وتأصيلها لتصبح « تربية إسلامية » لفظي ومعنى لابد من أن تركز على مصادر إسلامية رعيه تتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية :

ومصادر أخرى تبعية طرحها مريون مسلمون ، أو أثبت البحث والتجريب جدواها ولم تتعارض مع الفكر الاسلامي .

عرف البحث أصول التربية بانها معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى ابتناء العملية التعليمية . لذلك فإن البحث طرح مجموعة من القواعد العامة أساسا لأصول التربية الاسلامية ، مستقاة من نصوص الشريعة وروحها ، نواة للتأصيل المنشود .

إن القواعد الرعيسة التالية التي اقترحها البحث ما هي إلا للتمثيل وقابلة للمناقشة والزيادة والتعديل .

- ١- بناء التربية على أصول عقيدة صحيحة خالية من الشوائب تركز على :
 - الايمان بالله واحد ، منه الكلم الطيب ، ولرسوله البيان والتفسير ، وعلى مخلوقاته التصديق بما أنزل وما أخبر في حياتهم الاولى الفانية .
 - الايمان بالحياة الباقية ، حياة الموازين والحساب ، حياة الثواب والعقاب.
- ٢- بناء التربية على أصول تطبيقية سليمة تترجم العقيدة إلى طاعة وسلوك ، أي إلى امتثال الاوامر والابتعاد عن النواهي ، والالتزام بالقيم والنصح وحسن المعاملة .
- ٣- بناء الاسس التربوية على محاربة الافكار الهدامة التي تتناقض مع عقيدة المسلم وعلى رأسها الإلحاد والعلمانية ... وأن ينعكس ذلك جليا على محتوى التعليم ويتبلور في أهدافه ومناهجه .
- ٤- مناهضة وجهة النظر العلمانية الاساسية في النظام العالمي الجديد بطرح

الفكرة الكلية عن الكون والانسان والحياة للتصور الاسلامي في ميدان
النقاش العالمي .

٥- فتح باب التعلم والتعليم على مصراعيه لكل راغب بالمعرفة بدءا بالاجيال
وانتهاء بتعليم الكبار ومحو الامية .

٦- أن يكون الهدف من التربية تحقيق مرضاة الله ، والهدف من التعليم بناء
الشخصية المسلمة التي تجعل الاسلام أساسا للتفكير والميل والسلوك ...

٧- أن تبنى المناهج على تعلم كل ما يلزم للحياتين ، حياة الدنيا وحياة
الآخرة ، على حد سواء ، أي على العلوم الدينية والدنيوية ، التراثية
والعصرية ، إلى جانب التخصصية والثقافية ، النظرية والتجريبية .

٨- أن يبنى التعلم على قاعدة تكريم الانسان وتقدير حرية ومراعاة خصائصه
ومراحل نموه ، ومعاملته بالرفق والحسنى ...

٩- أن يغرس في المتعلم المسلم اتجاهين في آن واحد . فهو يحطم الافكار
الضالة ، ويقيم الفكر الاسلامي ؛ وهو يهدم التربية العلمانية ويبني التربية
الاسلامية ، ويبعد الظلام ويضيء النور . وهو - كما قيل - نارا تحرق
الفساد ، ونورا يضيء طريق الهدى .

١٠- أن تهيأ الاسباب والوسائل الكفيلة بتحقيق القواعد السابقة من مخطط
ناجح ، ومعلم مؤهل ، ومنهج قويم ، وكتاب صالح ... إلى جانب نظام
تعليمي متكامل يوسع دوائر التأليف والترجمة والبحث ، لتوفير التقنيات ،
وتحقيق المهارات والكفايات ، وتهيئة المختبرات والمكتبات ...

أولاً: المقدمة

لم يع الجيل الحاضر على الاسلام كنظام حياة وطريقة معيشة وعيا تاما بعد أن ابتعدت به المسافة بينه وبين جذور الاسلام . لذلك فهو حين يتكلم عن الاسلام في الحياة انما يتصوره تصوراً ذهنياً من خلال قراءاته للكتب التي تملأ أرفف المكتبات.

ولقد جاء هذا الابتعاد عن الاصلالة حين اتخذ الغرب وسائل عديدة لصرف المسلمين عن دينهم وطريقة معيشتهم المعينة ، وحبب إليهم التقليد ، وأبعدهم عن الحياة الاسلامية ، وربط أمانهم بأمانه وسلطانهم بسلطانه .

تمثل هذا الصرف في أشكال من الغزو ، منها : الغزو العسكري ، والغزو السياسي ، والغزو الاقتصادي ، والغزو الاجتماعي ، والغزو الفكري ، والغزو الثقافي ، والغزو التربوي .

نتج عن الغزو التربوي الذي هو مجال هذا البحث أن أصبحت مناهج التعليم في البلاد الاسلامية ونظام التعليم صورة مشوهة للمناهج والنظم الغربية ، « وصارت (هذه المناهج) بنيانا غريباً على الامة الاسلامية ، ولا تتفق مع مبادئها ، ولا تحقق غاياتها ولا تتبع أساليبها ووساطها ، ونتج عن ذلك أن التعليم لم يؤد رسالته ، فلا هو بلغ بالمسلمين في أمور الدنيا - ما بلغ بغيرهم ، ولا هو أرضى نزعاتهم ، واستجاب لمشاعرهم وحقق ميولهم ، وأشبع الاتجاه الديني المتأصل في نفوسهم » . (١، ص ٧) .

لذلك كان القيام بتأصيل التعليم أمر في غاية الصعوبة . ولكن لما كانت جذور المسلمين لازالت متماسكة بسبب حفظ العقيدة فإن العقل يرشد إلى أن بلورة الأصل وإزالة الاتربة عنه وتوضيح الرؤية له سيكون نقطة بداية جيدة . من هنا كان هذا البحث عن الأصل والتأصيل .

وتزداد أهمية التأصيل في ظل النظام العالمي الجديد الذي يحقق هيمنة دولة واحدة ، ويركز على إذابة الانتماءات الدينية ، ويعمل على محو الهويات الثقافية.

ثانياً: الأصل والتأصيل

تتميز اللغة العربية بوجود حقائق معينة ومعان معينة للفظ الواحد . من هذه المعاني : المعنى اللغوي ، والمعنى الشرعي والاصطلاحي الشرعي ، والمعنى العرفي ، والمعنى الاصطلاحي المعاصر . ومن أجل فهم مدلول اللفظ يرجع للمعنى اللغوي . فاللغة عبارة عن الالفاظ الموضوعية للمعاني . ودلالة الالفاظ على المعاني ترجع إلى من وضعها ، وهم العرب بالنسبة للغة العربية .

ثم إن الشرع الاسلامي أعطى معاني إضافية للفظ العربي فالتزم اللفظ بالمعنى الشرعي . على سبيل المثال الصلاة بالمعنى اللغوي هي الدعاء ، وقد استخدم القرآن هذا المعنى اللغوي في قوله تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي ... » ، لكن الفقهاء استخدموا الصلاة بأنها أقوال وأفعال تبدأ بتكبيرة الاحرام وتنتهي بالتسليم وهذا هو المعنى الاصطلاحي الشرعي ، وهو المقصود في قوله تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم » أخرجه البيهقي والترمذي وقال : حسن صحيح . ثم إن الشرع استخدم الصلاة بمعنى (إقامة حكم الله) في قوله تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وهذا هو المعنى الشرعي حيث يبقى اللفظ على هذا المعنى الشرعي الذي حنده له .

أما المعنى العرفي فهو اللفظ المستعمل فيما وضع له عرفاً ، كأن يكون الاسم قد وضع لمعنى عام ، ثم يخصص بعرف استعمال أهل اللغة ببعض مسمياته ، كاختصاص لفظ (الدابة) بذوات الأربع عرفاً ، وإن كان في أصل اللغة لكل ما دب على الأرض فتشمل الانسان والحيوان لكن الاستعمال العام في اللغة خصصها بذوات الأربع وهجر المعنى الاول .

أما المعنى الاصطلاحي (المعاصر) فهو ما يصطلح عليه أهل زمان ومكان معين مثل كلمة (استعمار) التي تدل في الوقت الحاضر على استغلال ثروات وخيرات الشعوب لصالح الدولة المحتلة . ويختلف هذا المعنى الاصطلاحي عن المدلول اللغوي الذي يعني البناء ، يقال استعمر بمعنى بنى وشيد كما استخدمه ابن خلدون في مقدمته .

ضرورة هذا الاستطراد في اللغة العربية أن لفظ - الأصل والتأصيل - محور هذا البحث ، وهو لفظ عربي المبني والمعنى ، لذلك كان الواجب البحث عن معناه عند العرب وفي الشرع الاسلامي . فالفهوم الاسلامي واللغة العربية طاقتان لا تنفصلان . ولا تعني طاقة اللغة العربية الشعب العربي صاحب اللسان ، ولكن تعني الاصطلاح الذي اصطلح عليه العرب الاقحاح فوضعوا الفاظا معينة للدلالة على معاني معينة ، ومادامت اللغة العربية اصطلاحا لهم ، فطريق معرفتها اخذها عنهم . والمراد بالعرب الاقحاح العرب الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية قبل فساد اللسان العربي ، وقد ظل قسم منهم حتى القرن الرابع الهجري يسكنون البادية فلم تفسد لغتهم ولذلك يؤخذ عنهم .

الأصل في اللغة العربية له عدة معان منها : أنه ما يبتنى عليه ، سواء أكان الابتناء حسيا كابتناء الجدران على الأساس ، أو عقليا كابتناء المغلول على العلة والمداول على الدليل ، أو تربويا كابتناء العملية التعليمية على أساس مبدأ المجتمع وفلسفته . وعلى ذلك فإن أصول التربية هي القواعد التي تبنى عليها التربية .

يتناسب هذا المعنى ما ما أورده لسان العرب لابن منظور من أن الأصل هو « أسفل كل شيء ، وجميعه أصول » . (٢ ، ص ١٦) ويقال أخذ « الشيء بأصلته وأصيلته أي بجميعه ولم يدع منه شيئا » (٢ ، ص ١٨)

هذا عن معنى الأصل لغويا ، والتأصيل هو أن يكون للشيء أصل أي أن يبنى على أصل أصيل أو أساس ثابت . إلا أنه لا يكتمل بحث عن الأصل والتأصيل ومنها الأصول دون توضيح المعنى الاصطلاحي عن « الأصولية » الظاهرة التي شغلت الدنيا هذه الأيام ، وتتنافس الاقلام البريئة وغير البريئة في مناقشتها . لذلك يستحيل على هذا البحث أن يغض الطرف عن اغفال هذا المصطلح أو تجاهله .

الأصولية الحالية كلمة مستحدثة مصدرها الغرب « وهو (الذي) يحاول استكشاف ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، واستكناه حقيقتها وبواعثها . وما لبثت هذه الكلمة أن أخرجت (كما أريد لها) من معجم نهضة المسلمين كلمة « الصحوة » ووضعت مكانها كلمة الأصولية .. (ثم) إن وسائل الإعلام .. لا تجد

حرجا في أن تطلق على هؤلاء الأصوليين الصفات التالية : المتطرفون -
الارهابيون - المتشددون - المخربون . (٣ ، ص ١٢)

ليس البحث بصدد مناقشة حقيقة الأصوليين وفلسفتهم في تعاملهم مع
غيرهم ، ولذلك سيقصر على بيان مفهوم « الصحوة » ومفهوم « الأصولية » كما
يفهم من اللغة العربية والفكر الاسلامي .

تعني الصحوة بكل بساطة يقظة الامة الاسلامية حيثما وجد أفراد هذه
الامة المتحررون من « الكسل والخمول والقصور عن اللحاق بركب الحضارة والتقدم
والتطور الحضاري المضطرد » . (٣)

اما الأصولية فهي حركة سياسية إسلامية . وإن « روح الدين الإسلامي
يجعل المؤمنين به على قناعة كلية بأن من الإيمان ممارسة السياسة على أنها عمل
ديني شأنه شأن بقية المناسك التعبدية التي أمرهم الله بأدائها تجسيدا وتعبيرا
لانتماثلهم إلى الإسلام . ومثل هذه القناعة تجعل السياسة ، على مختلف مفاهيمها
وصورها من المسلمات الثابتة بالنسبة لكل مسلم سواء كان هذا المسلم طليقا من
الإنتماءات التنظيمية أو ملتزما بها . ومن هذا المنطلق ارضعت الاصوات التي
تنادي بالعودة إلى الإسلام والتطبيق الحرفي لما جاء به من مبادئ وقيم » . (٣)

هذا ما تطور إليه مفهوم الأصولية بمصطلح الغرب وبمصطلح الاسلام
السياسي (٤) ، على أن الأصولي بالمعنى اللغوي هو الشخص الذي يستند فيما
يقدمه من فكر على المصادر الأصلية . فبالنسبة للمسلم فإن الأصولي هو
الشخص الذي لا يقبل دليلا سوى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويرفض قول
العالم الفلاني ، بل وحكم العقل والمنطق إذا تعارض مع الشرع حسب الظاهر .

يصل البحث بهذه المناقشة إلى أن أصل الشيء أو تاصيله هو أن يرتكز
على أصل صحيح ويتمخض عن قواعد قوية . وهذه القواعد - كما الشأن في
البناء - هي التي تحدد شكل البناء كله وتدعو أرباب العلاقة إلى الالتزام به . لذا
فإن تاصيل التربية لا يعني تاصيل التربية على قواعد أساسية فحسب ، بل ويلزم
القائمين على العملية التعليمية بهذه القواعد كلها .

هذا ، وان التاصيل الاسلامي اليوم ، ضرورة حضارية ملحة لضمان مواصلة التقدم العلمي والتقني مع الحفاظ على إنسانية الانسان ، (٥ ، ص ١٣) .

على أننا نضيف أن مفهوم الاصل والتاصيل باللغة الانجليزية (ORIGIN ORIGINALITY) يدل على المصدر أو السبب ، أو البداية . ولا تذكر الكلمة إلا وتدل على الابداع والابتكار. (٦)

هذا من تحديد مفهوم الاصل والتاصيل . إلا أنه لما كان المحور الآخر للبحث هو التربية ، فإلى تحديد مفهوم التربية والتعليم أيضا .

ثالثا: مفهوم التربية ومفهوم التعليم

يقال في اللغة العربية رب الشيء ربا: أصلحه ، ورب الولد ربا : وليه وتعهد بما ينميه ويؤدبه . والولد رباه حتى أدرك ، ورباه حفظه وأصلحه . (٧ ، ص ٣٢١) . وفي الحديث : لك نعمة تربها ، أي تحفظها وتراعيها وتربيها ، وترباه : أحسن القيام عليه . والسحاب يرب المطر أي يجمعه وينميه والريبية الحاضنة التي تصلح الشيء وتقوم به وتجمعه (٢ ، مج ١ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٦) .

وتعني التربية ببناء الانسان والامة ، فالقضية التربوية مشكلة من أعقد المشكلات ذات صلة متينة برفي الامة وانحطاطها بحسب ما تكون قريبة من الصواب أو بعيدة عنه . (٨ ، ص ٧) فهي عامة للامة وعامة للفرد تختص عند المسلمين بتنشئة وتكوين انسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والارادية والابداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الاسلام في ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها . (٩ ، ص ٢٠٠) .

كذلك التربية هي وسيلة لحمل الفكر ، والواجب في بيئات إسلامية أن يكون هذا الفكر من مستوى الفكر العميق المستنير المستمد من مصادر التشريع الاسلامي : الكتاب والسنة واجماع الصحابة والقياس . فالتربية في الاسلام ، والحالة هذه ، تثير حياة المسلم اليومية عن طريق بناء فكرة وتغذية عقله .

يتبين من هذا المجال الكبير والواسع الذي تضطلع به التربية الاسلامية للفرد وللأمة على السواء . ولا يكتفى فيها بساعات معينة يمضيها الفرد المتعلم والفرد المعلم داخل مؤسسة معينة ، بل على المعلم أن يخرج بها إلى مجال الأمة ولأن مجال الفكر لا تحده أسوار مقيدة . فالتربية بأوسع مضامينها تعني : التنمية الشاملة للفرد الانساني من جميع جوانب شخصيته بحيث يتحقق القصد من خلقه ، وللأمة الاسلامية بكاملها بحيث تحقق الرسالة والوسطية بين الأمم .

هذا المفهوم الواسع والعميق للتربية الاسلامية يقودنا إلى أنها تربية مثالية، ولا يمكن أن تظهر إلى حيز الواقع إلا في مجتمع إسلامي مثالي تقوم كل مؤسساته على الاسلام ، وتظل فيما دون ذلك الهدف البعيد المنشود ، لذلك كان من الاجدى بحث موضوع التعليم .

يقال في اللغة علم الرجل علما : حصلت له حقيقة العلم ، وعلم الشيء عرفه . وحين يقال التعليم إنما يراد منه هذا المعنى اللغوي أي كل معرفة . وأسس التعليم هي عبارة عن المبادئ التي تبنى عليها المعلومات من جهة ، والكيفية التي يجري بحسبها إعطاء هذه المعلومات من جهة أخرى . فهو يشمل أمرين : أحدهما : مواد الدراسة ، والأمر الثاني : طرائق التدريس . فالتعليم ، لذلك ، إنما ينمي جانبا واحدا من مجموع مفهوم التربية ، إنه جزء من التربية يعني بتنمية الانسان خلال سنوات معينة من عمره داخل مؤسسة معينة وحسب معارف وطرائق محددة . أي أن التعليم هو محاولات لتنظيم بعض جوانب التربية ، أو سلوك الافراد المعنيين وفق مقتضيات اجتماعية معينة .

رابعا : مفهوم أصول التربية

يصل البحث من هذه المعاني اللغوية والاصطلاحية إلى تعريف لأصول التربية والتعليم بأنها : معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى ابتناء العملية التعليمية . فبحث أصول التربية والتعليم بحث في القواعد الاصولية للتربية من جانب ، وفي مناهج الدراسة وأساليبها من جانب آخر .

وتتميز أصول التربية عن العملية التعليمية بأن عملية التعليم موضوعه المشتركون في العملية : الطالب ، والمدرس ، والقيادة التعليمية ، وما يمارسونه من أعمال تشمل المحتوى ، والوسائل ، والأساليب وطرائق التعلم والتدريس ، والتقويم.

أما أصول التربية فموضوعه المصادر التي تمثل القاعدة التي بني عليها الأفعال التعليمية والتي تلك توجيه العملية التعليمية والتخطيط لها .

خامساً : المصادر الأصولية للتربية الإسلامية

إن مصدر المنهج التعليمي هو مصدر كل أنظمة الحياة ، إنه وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم . يقول تعالى في سورة النساء آية ١٧٤ : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا . »

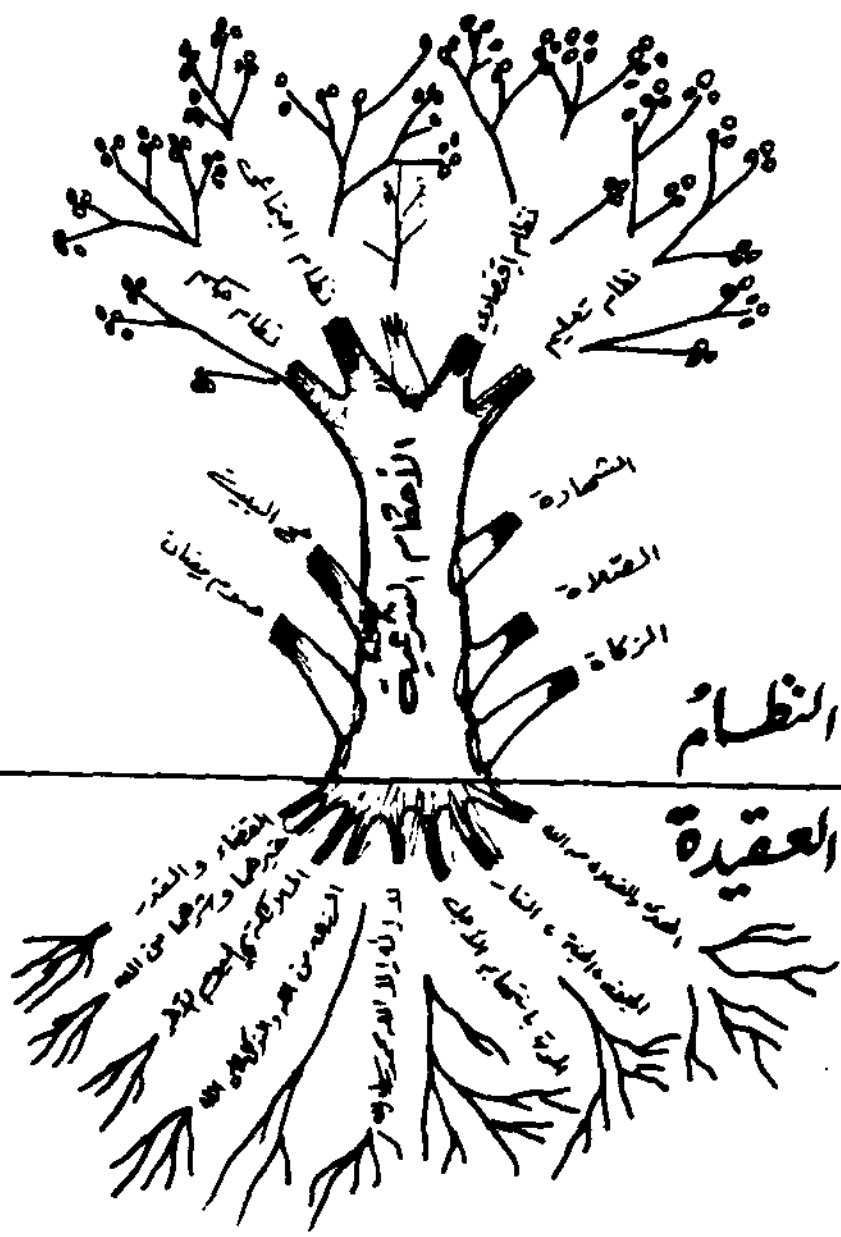
والإسلام هو المبدأ (العقيدة والنظام) - شكل ١- الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله منفردة غير محرفة ولا مشوشة باوهام البشر وأخطائهم وانحرافاتهم . أما المبادئ والأنظمة الأخرى فهي إما نظام مدني بشري مصدره العقل البشري كالرأسمالية ، والاشتراكية ومنها الشيوعية ، أو نظام ديني بشري كالديانة البوذية ، أو نظام ديني محرف « فهو - وإن كان إلهيا في أصله - عملت فيه يد التحريف والتبديل فأدخلت فيه ما ليس منه وحذفت منه ما هو فيه ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر كاليهودية والنصرانية . » (١٠)

لذا كان المصدر في الإسلام ربانيا أي من الله نزل به الروح الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثمرات ربانية هذا المصدر : العصمة من التناقض والتطرف والاختلاف ، البرامة من التحيز والهوى ، الاحترام وسهولة الانقياد التام لكل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى وتقبله وتنفيذه ، التحرر من عبودية الإنسان للإنسان ، والشمول . (١٠) .

ومن الناحية التربوية وتاصيلها لتصبح « تربية إسلامية » لفظي ومعنى لا بد من أن تركز على مصادر إسلامية رئيسة تتمثل بالكتاب والسنة ، ومصادر أخرى تبعية طرحها مربون مسلمون أو أثبت البحث والتجريب جدواها ولم تتعارض مع الفكر الإسلامي . وفيما يلي عرض موجز للتوعين ، واستخلاص للتصور الإسلامي الذي يولف القاعدة الفكرية الكلية للتاصيل .

١- القرآن الكريم

القرآن هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة نقلا متواترا . والقرآن الكريم عربي



مبدأ الإسلام

للإسلام عقيدة وفلسفة

جاء على أساليب كلام العرب ميسرا للفهم ، فيه من الله ما أمر به ، وما نهى عنه ، قال تعالى في سورة ص آية ٢٩ : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب »

وللقرآن أسلوب رائع ومزية فريدة في تقديم المعرفة فهو يبدأ من المحسوس (الملموس) المشاهد المسلم به مثل الشمس والقمر والنبات والرياح ، ثم ينتقل إلى وجوب وجود الله ، وقدرته ، وجلاله ، وعظمته ، وكماله المطلق . وقد نهج القرآن في « إرشادنا إلى المعرفة نهجا علميا واقعيا بعيدا عن التخيلات الجدلية والفروض الظنية التي تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الاتهام ، وهو بهذا ينشد خير البشرية ، ويجنبها مزالق الاوهام . » (١١ ، ص ٢٧)

هذا من حيث الوقوف على جانب المعرفة أو المحتوى ، أما بالنسبة للجانب السلوكي فإن المتأمل في كتاب الله يجد التركيز على الطرائق . على سبيل المثال يركز القرآن على طريقة المناقشة والتساؤلات ، يقول تعالى في سورة النحل الايات من ٥٩ - ٦٦ : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، « الله خير أم ما يشركون » ؟ الجواب الله ولا شك .

ويقول تعالى في سورة النمل آية ٦٠ : « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أه له مع الله .. » ؟ الجواب : كلا له الله مع الله فعل ذلك .. « بل هم قوم يعدلون » .

« أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أه مع الله » ؟ كلا ولا شك .. « بل أكثرهم لا يعلمون » .

وتمضي الايات تترا فلا تجد بدا من القبول والتسليم . وأنت حين تقرأ هذه الايات بتمعن أو تسمعها من قارئ مرثل يصيبك شعور بالعظمة لله عز وجل والهيبة منه والخوف منه سبحانه إضافة إلى استشعار الضعف والذل بين يديه والحاجة إليه سبحانه وتعالى ، إلى أن قال سبحانه « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، ولن يجدوا حتما إلا الهوى والضلال « فإذا بعد الحق إلا الضلال » .

واقرا إن شئت ما ورد في سورة الواقعة من مناقشة :

يقول تعالى « أفرايتم ما تمنون . » أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟
« أفرايتم ما ترحثون . » أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟
« أفرايتم الماء الذي تشربون . » أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن
المنزلون ؟
« أفرايتم النار التي توردون . » أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟
الجواب : الله .. الله .. الله
ولا إله إلا الله .
« ثم الدين كفروا بربهم يعدلون » .

وهكذا يجد المتأمل في كتاب الله عز وجل التركيز على الحوار بأسلوب
المنافشة والتساؤلات ، بل ويجد مناظرات القرآن تنتهج نفس النهج . كما يلاحظ
أن كثيرا منها تطرح بشكل يكون الجواب الفطري من قبل الكفار عليها هو الإيجاب
والتسليم لا المعارضة والتكذيب .

٢- السنة النبوية

السنة في اللغة الطريقة ، وأما في الشرع فقد تطلق على ما كان من
العبادات نافذة منقولة عن النبي عليه السلام ، وقد تطلق على ما صدر عن الرسول
من قول أو فعل أو تقرير ، وعند الكلام على المصادر تطلق السنة على فعل الرسول
وعلى قوله وعلى إقراره ، فكل ذلك هو السنة . وكل ذلك متلقى بالوحي . قال تعالى
في سورة النجم آية ٣ : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وقال : « قل
إنما أنذركم بالوحي » .

لعل خير ما يعبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الحديث
الشريف . وقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه ودوره وبلاغته بقوله : « أعطيت
جوامع الكلم ، وختمت بي النبوة ، وأنا خاتم النبيين » .

اهتمت كتب الحديث بجمع وتصنيف أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم
وأفعاله وتقاريراته ، وقد تناولت كتب السيرة صفاته الخلقية والخلقية وسيرته
ومغازيه وسراياه وبعثه . « وتفاوتت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين
كتاب وآخر . فنجد البخاري - مثلا - يهتم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم
فيفرد كتباً وأبواباً من جامع الصحيح لسيرته صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

وبعده ، ومغازيه وسراياه ويعونه ، ومكاتباته ، وفضائل أصحابه ، وزوجاته ، إضافة إلى ما هو مبثوث من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح . (١٢ ، ص ١٦-١٧) .

أما بلاغته صلى الله عليه وسلم فقد كان على أعلى مستوى من الفصاحة، حريصا أشد الحرص على تخير ألفاظه . وقد حظي حديث النبي وكذلك خطبه باهتمام علماء اللغة فيما بعد ، فانكبوا عليهما بالدرس والتحصيل ، وألفوا فيهما وفي غريب ألفاظهما وفي معانيهما الكتب المتعددة ، وذلك لأنهما من « الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فحوى من كلامه » (١٣ ، ص ١٦) .

هذا ، إذن ، عن أهمية المصدر الثاني - السنة النبوية ، ومكانته وجانب المعرفة أو المحتوى فيه ، أما بالنسبة للجانب الثاني فإن المتابع لكتب الحديث والسيرة والمغازي يرى أن طرائق التدريس التي يفتخر بها الغربيون ويحسبونها لأنفسهم قد سبق إليها المصطفى عليه الصلاة والسلام واستخدمها استخداما ثبتت نسبتها إليه في الأحاديث الصحيحة المروية في كتب السنة والسيرة . من هذه الطرائق طريقة المناقشة ، وطريقة حل المشكلات .

تظهر طريقة المناقشة في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في مواضع كثيرة من السنة أحدها حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحذوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي . قال عبد الله بن عمر : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله . قال : هي النخلة » . (١٤) أخرجه البخاري وبوبه في كتاب العلم تحت عنوان « باب طرح الامام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم » .

تتضح في هذا الحديث أسلوب طرح السؤال على الصحابة رضوان الله عليهم بهدف المناقشة والتعليم ؛ ويلاحظ التشبيه بين المسلم والنخلة واستخدام

المثل المشاهد في تصوير المعنى المراد ترسيخه في الالذهان وتربية الناس عليه .
قال الحافظ ابن حجر : « وفيه ضرب الامثال والاشباه لزيادة الافهام وتصوير
المعاني لترسخ في الالذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة » . (١٤) وهذه
تعتبر من الطرق التربوية الحديثة زمنيا القديمة استخداما حيث يجعل من الوسائل
والتمثيل طرقا أساسية في التربية والتعليم .

روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .
قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ، (١٥)
قال الترمذي حديث حسن صحيح . وروى مسلم - رحمه الله - نحوه هذا الحديث .
فنجد هنا عرض الرسول عليه الصلاة والسلام لحكم الغيبة - وهي من الأمور
الخطيرة في المجتمع المسلم - بطريقة السؤال الذي يتلهف السامع للجواب فيكون
له حينئذ وقع في النفس أكبر من العرض المباشر .

وروى البخاري ومسلم والترمذي - رحمهم الله تعالى - عن أبي ذر
الغفاري - رضي الله تعالى عنه - قال : « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أبا ذر : أتدري أين تذهب هذه
الشمس ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : تذهب تسجد تحت العرش فتستأذن
فيؤذن لها . ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها
ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها . فذلك قول الله عز وجل . والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، وفي رواية : فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم : تدرون متى ذاكم ؟ ذاكم حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو
كسبت في إيمانها خيرا .. » (١٥) متفق عليه .

فهنا يلفت المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام نظر أبي ذر - رضي الله
تعالى عنه - إلى ظاهرة يراها كل يوم فيسأله عن الشمس أين تذهب حين تغرب
ويستأذن أبو ذر الجواب فيخبره النبي عليه الصلاة والسلام بأنها تسجد تحت العرش
وتستأذن ربها فيأذن لها . وهنا نجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلفت نظر
أبي ذر إلى الثمرة التي يجب التفكير فيها ألا وهي قوله : يوشك أن تستأذن فلا
يؤذن لها ويقال ارجعي من حيث جئت . وهذا يلقي في نفس المؤمن الرهبة والخوف
من الله - عز وجل - الذي يشاء أن يرجعها من مغربها في يوم لا ينفع الكافر

ايمانه هناك ولا يتغنى المقصر طاعته لله إذا رأى تلك العلامة الكبرى من علامات القيامة .

وقد غفل المتأخرون عن هذه الحكم العظيمة وعدلوا إلى الجدال حول كيف تسجد ونحن نراها ذاهبة إلى كل بلاد العالم لا تغيب عن العالم بأسره لحظة واحدة ؟ وهذا غيب لا تدركه عقولنا وواجبنا التسليم ولا نسرح العقل فيما لم يخلق له ونقول « سمعنا وأطعنا سبحانه ربنا ما عبدناك حتى عبادتك .. »

وروي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما : أتدرون من المفلس ؟ قال الصحابة : المفلس فبنا من لا درهم له ولا متاع . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام ... (من أعمال البر) ويأتي وقد شتم هذا وسفك دم هذا وأكل مال هذا وهتك عرض هذا فيؤخذ من حسناته وتعطى إياهم فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحته عليه ثم طرح في النار ، أو كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم .

لو تتبعنا سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من أولها إلى آخرها لوجدناها تربية كاملة شاملة لكل الجوانب التي يشير إليها المربون في هذا العصر من شرق وغرب . ومن بينها طريقة حل المشكلات كطريقة من طرق التربية والتعليم . على سبيل المثال كان المسلمون في أول الاسلام في حالة حرجة من الاضطهاد والتعذيب المسلط عليهم - لا نشيء إلا أن يقولوا ربنا الله - وهنا يأتي من يطلب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحل لهذه المشكلة بالدعاء أو أي حل يراه المصطفى مناسبا فماذا تكون التربية .. ؟

ورد عن البخاري - رحمه الله تعالى - من حديث خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه أنه جاء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عند الكعبة يصلي فلما فرغ قال خباب لرسول الله : يا رسول الله ألا ترى ما نحن فيه من العذاب ألا تدعوا الله لنا ألا تستنصر الله لنا .. ؟ وهنا يغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول : والله لقد كان الرجل ممن قبلكم يؤتى به فينشر بالمنشار تصفين فلا يرده عن دينه شيء . فوالذي نفسي بيده ليطمئن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ، أو كما ورد في الحديث .

فهنا يلاحظ أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لم يجب طلب خباب رغم أنه قادر على ذلك ولو دعا ربه لما نزلت يديه إلا والإجابة معها . ولكنها التربية على الصبر والثبات والتحمل . فهذا هو طريق النصر وطريق الفوز والنجاة يوم القيامة . ويتربى الصحابة على ذلك فيذهب كل منهم يحاول حل ما عنده من مشكلات بالطريقة المناسبة ومن لا يستطيع فإنه يحلها بالصبر والاحتساب كما حدث لآل ياسر إذ كان يعذبهم أبو جهل ، ويمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم ويقول : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة . فيصبرون .

وعندما يزداد الكيد والاضطهاد من قريش للمسلمين يظهر حدث آخر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدلنا على مدى تربية المصطفى لصحابته الكرام على كيفية حل المشكلات ، وهو في أمره للصحابة أن يهاجروا إلى الحبشة ليجنوا فيها مكاناً آمناً يتيسر لهم فيه ممارسة دينهم والدعوة إليه بدون أي مضايقات . روى أهل السير في ذلك أنه :

« كان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد علم أن أصبحته النجاشي - ملك الحبشة - ملك عادل لا يظلم عنده أحد . فامر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم » (١٦) وهنا يسأل هل أخبر أولئك المهاجرون بالطريقة التي يعالجون بها ما سيواجههم من مشاكل . فهم قادمون إلى أرض لا علم لهم بها ولا بأهلها . لقد هاجر المسلمون على فترتين (الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة) ، ولكن عندما حدثت الهجرة الثانية إلى الحبشة وبلغ غيظ قريش مداه على المسلمين المهاجرين الفارين بدينهم فارسلوا من يسعى لإفساد النجاشي على المسلمين الذين بين يديه . فانتدبوا لذلك عمرو بن العاص وعتبة بن ربيعة قبل أن يسلموا وجاءا بالهدايا إلى البطارقة ليمهدوا الوصول إلى ما يريدون . وحصلت المقابلة بين النجاشي ووفد قريش وقالوا له ما قالوا من طلب أرجاع أولئك الفقراء - زعموا ذلك - إلى أهلهم فهم أولى بهم وأعرف بهم وقالوا إنهم يسبون عيسى وأنه ... فما كان من النجاشي العادل إلا أن دعى من المسلمين من يقوم بالإجابة على هذه الاشكالات وقال النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟

إنه سؤال خطير يحتاج إلى جواب وجواب قوي بين رجل قوي - وهل كان

الصحابة على علم بهذه الحادثة حتى يعطيهم الرسول الطريقة المثلى لمعالجتها ؟

هنا ينبغي لها رجل من الصحابة الكرام هو جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتكلم باسم المسلمين بكلام يحسن بنا هنا أن نذكره بنصه لما فيه من دلالة على حسن التربية والفهم للإسلام وكيف استطاع أن يحل مشكلته ومشكلة المسلمين بنفسه فقال :

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل منا القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنؤخده ونعبدده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ... وأخذ يعدد من أمور الإسلام ما شاء الله ثم قال : فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا ... فلما قهرونا وظلمونا وهالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي له : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال جعفر : نعم. فقال له النجاشي : فاقرأه علي . فقرأ عليه صدرا من سورة - كهيعص - مريم ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما .

فلما كان الغد جاء مرة أخرى وقالوا أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما . فارسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا ولكن أجمعوا على الصدق كائناً ما كان فلما دخلوا عليه وسألهم قال له جعفر : نقول فيه الذي جأنا به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشي عودا من الأرض ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . فتناخرت بطارقه ، فقال : وإن نخرتم والله . ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوعم بأرضي - والشيعوم تعني

الأمون بلسان الحبشة - من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبوا من ذهب وأنني أدبت رجلا منكم - والدير هو الجبل بلسان الحبشة ... (١٦) وهذه هي رواية ابن اسحاق عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها .

وغني عن القول مدى الأثر الواضح للتربية النبوية لهؤلاء إذ تمكنوا من حل أعظم معضلة واجهتهم في الحبشة .

وطريقة حل المشكلات وتعليمها صلى الله عليه وسلم لأصحابه فإنها تظهر كثيرا في السيرة سواء عند إرسال معاذ بن جبل وأبو موسى إلى اليمن ، أو إرسال علي بن أبي طالب إلى خيبر ، أو مع مهاجري الحبشة ، أو مع مصعب بن عمير عندما وجهه داعيه إلى يثرب ، أو مع محمد بن مسلمة الأنصاري في اغتيال كعب بن الأشرف اليهودي .

وبعد ، فلو طالعنا حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام لوجدناها غنية ثرية بكل ما نحتاجه في التربية والتعليم .

سادسا: المصادر التبعية للتربية الإسلامية :

يقصد بالمصادر التبعية ، تلك الآراء التربوية التي صدرت عن المسلمين بعد أن رفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . صحيح أن هذه الآراء متناثرة - في الغالب - هنا وهناك ، ويتطلب جمعها جهدا كبيرا ، إلا أنها قيمة وفيها من الإبداع والابتكار ما لا يخفى على منصف ، ولعل البحوث تنهض لجمع هذه الآراء من بطون الكتب لترى النور بشكل كامل .

ويدخل تحت (المصادر التبعية) من جانب آخر الخبرات المختلفة التي حملتها لنا تجارب الأمم الأخرى ولا تخالف الفكر الإسلامي في شيء ، فتلك الخبرات لا يمنع الإسلام من الاستفادة منها ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها وهي من عالم الشهادة في (العالم المحسوس) الذي أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق النتيجة فيه بالبحث والخبرة . وفيما يلي فكرة موجزة عن هذه المصادر التبعية للتأصيل التربوي :

١- آراء مقتبسة من تاريخ المربين المسلمين:

للمربين المسلمين من أمثال : ابن سحنون ، القابسي ، إخوان الصفا ، ابن مسكويه ، ابن سينا ، ابن عبد البر ، الغزالي ، الزرنوجي ، ابن خلدون ... آراء تربوية بدأت مع الصحوة الإسلامية تظهر في بعض الدوريات والكتب ، لكن الذي بقي أكثر بكثير من الذي ظهر . ولن يتحدث هذا البحث عن الآراء التربوية لهؤلاء الاعلام ، لكنه سيقصر على الافكار التربوية التي سبقوا غيرهم إليها .

« لقد أبدع التربويون المسلمون أيما إبداع في مجالات كثيرة وبرزوا فيها كل من جاء بعدهم من اعلام الشرق والغرب ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١- إلزامية التعليم وإقرار التعليم للجنسين على السواء ، وهذا ما يسمى اليوم بديمقراطية التعليم . لقد سبق القابسي غيره إلى هذا .

٢- بيان دور الحواس في عملية التعلم ، ودور المحاكاة والتقليد في التربية ، وقد سبق اخوان الصفا غيرهم إلى ذلك .

٣- بيان أهمية الاخلاق في التربية ، ودور الحركة والنشاط واللعب فيها . وقد ركز على ذلك ابن مسكويه أكثر من غيره .

٤- بيان فطرة الناشئ وأهمية التوجيه المهني والتربوي وفوائد التعلم الجمعي ... وكان لابن سينا فضل المسبق إلى ذلك ، وتلك بعد الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

٥- بيان أثر المعلم في نشر المذاهب والافكار ، وبيان الصلة الوثيقة بين العلوم . وقد ذكرها الغزالي وغيره ، وبين أن على المعلم أن يبدأ بالواضح قبل الغامض وبالأهم قبل المهم ، وأن يخاطب المتعلم قدر عقله .

٦- بيان أن لذة العلم من نواحي تحصيل العلم بنجاح ، وأن الفهم يجب أن يسبق الحفظ ، وأن التكرار هو وسيلة الحفظ الناجحة ، وللزرنوجي فضل المسبق إلى ذلك .

٧- أخيراً وليس آخراً ، يرجع الفضل في بيان الاضرار الناجمة عن استعمال الشدة ، في تحديد العقوبة وصلة التربية بالحياة الاجتماعية بعد الله إلى العلامة ابن خلدون .

أولئك أبائي فجنسي بمنتهى (٢٠) ص إذا جمعتنا يا جرير الجامع (١١٦-١١٧) .

٢- خبرات مستفادة من تجارب الآخرين :

تؤلف تجارب وخبرات الأمم المستقاة من تتبع تاريخها أو الاطلاع على تجاربها في مجال التربية والتعليم مصدرا مفيدا ما لم يتعارض مع الفكر الاسلامي . ويستطيع الباحث من هذا اكتشاف نواحي الإهتمام ونواحي القصور ، والاستفادة من النجاحات التي تحققت .

وجاء البحث بتتبع التجربة الروسية ، والتجربة الهندية ، والتجربة الفرنسية ، والتجربة الفيتنامية ، والتجربة اليابانية ، والتجربة الصينية أن غالبية هذه التجارب ركزت على القضاء على الأمية ، وتنقية لغتها القومية من الالفاظ الاجنبية وادخالها في مختلف أوجه العلوم والتقنية الحديثة حتى تمت للدولة السيطرة اللغوية على لغة التعامل العلمي والايديولوجي ، وفشلت التجربة الهندية لأنها لم تفهم قضية الحضارة وهي مشكلة اللغة فتبنت اللغة الانجليزية . (٢١)

ولقد تبعه عدد من علماء المسلمين وتربويوها إلى دور اللغة العربية في التاصيل التربوي فحاولوا طمس حل لهذه المشكلة بعد أن أدركوا خطرها ، إلا أن محاولات التعريب حتى الآن كانت إما بجهود فردية ، أو من قبل جامعات بعض الدول ، أو زيادة حصص اللغة العربية في المنهج التعليمي . واندرجت هذه المحاولات تحت مسمى « التعريب » أو « الأسلمة » .

يرى البحث في هذا الموضع أن مصطلح « أسلمة » غير جائز لغويا ، وأن المعنى المتضمن في المصطلح والهدف المقصود منه يشملها مصطلح « تاصيل » .

يقود الاطلاع على تجارب الآخرين إلى أن الترجمة إلى اللغة القومية قد ساعد في بناء الذات . ويعنى بناء الذات تحويل العلم من لغة خارجية إلى لغة داخلية كقاعدة عريضة لبناء المعرفة العلمية والمعرفة التقنية .

ومن الدروس الأخرى المستقاة من تجارب الآخرين بالاضافة إلى الإهتمام باللغة ، الإهتمام بتدريب المعلم ، إزالة ازدواجية التعليم برفض تقسيمه إلى عالم ديني وعالم دنيوي ، ترشيد الابتعاث للخارج ، تدعيم مراكز البحث العلمي .

تعني إسلامية العلوم في قواميس النشطين حالياً تأصيلها كفرضية ذاتية تبدأ باللغة وتنتهي إلى أسلمة العقول والمناهج والعلوم . (٢٢)

ولما كان هذا البحث محاولة لتحديد الاصل والقاعدة للتربية الإسلامية ، ولما كان القرآن والسنة النبوية هما المصدران اللذان شكلا التصور الإسلامي ؛ فإن البحث الآن بصدد طرح فهمه لهذا التصور وذلك لأنه مع تعدد المجالات والسبل لتأصيل التعليم لا يمكن تصور قيام بناء تعليمي دون الاعتماد على الأساس الأصلي وهي وجهة النظر في الحياة . فجميع الفكر عن الحياة الدنيا والاحكام لمعالجة أفعال الانسان لا يوجد إلا بعد أن توجد الفكرة الكلية لأنها القاعدة الفكرية التي تبنى عليها جميع الافكار عن الحياة ومنها الفكر التربوي وفلسفة التربية .

سابعاً: التصور الإسلامي

جاء الاسلام بمجموعة مفاهيم عن الحياة شكلت وجهة نظر معينة . وجاء بمعالجات عامة لمعالجة مشكلات الانسان في الحياة ، يستتبع منها علاج كل مشكلة تحدث للانسان وجعل كل ذلك مستنداً إلى قاعدة فكرية تدرج تحتها كل الافكار الاخرى ، كما جعل الاحكام من معالجات وافكار وآراء منبثقة عن العقيدة ، مستنبطة من الخطوط العريضة . ومن هنا لم يكن الاسلام ديناً روحياً فحسب ، ولا مفاهيم لاهوتية أو كهنوتية ، وانما هو طريقة معينة في العيش يجب على كل مسلم وعلى المسلمين جميعاً أن تكون حياتهم حسب هذه الطريقة وحدها . (١٧ ، ص ٦٥٥)

ولكن الاسلام عالج للانسان قبل كل شيء آخر مشكلته الكبرى وعقده الاولى عن هذا الوجود بما فيه من كون وانسان وحياة ، كيف أتى ؟ وإلى أين هو منتهي ؟ وما هو دور الانسان والغاية من وجوده ؟

ويتميز هذا الوجود الفاني بناموس ثابت مضطرب هو حركة دائبة وتحول مستمر . وهذا الناموس هو قانون الحياة وقاعدتها . ثم إن التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة ينسب الاشياء والاحداث والعمليات - ومنها الحركة الدائبة والتحول المستمر - إلى مشيئة الله وقدرته . (١٩) لذلك كان الاسلام مبني على أساس واحد هو العقيدة وهي أن وراء هذا الكون والانسان والحياة خالقاً خلقها جميعاً ، وخلق كل شيء ، وهو الله تعالى . وأن هذا الخالق أوجد الاشياء من

عدم، وهو واجب الوجود ، فهو غير مخلوق ، والا لما كان خالقا ، واتصافه بكونه خالقا يقضي بكونه غير مخلوق ، ويقضي بأنه واجب الوجود ، لأن الاشياء والاحداث والعمليات تستند جميعها في وجودها إليه ولا يستند هو إلى شيء .

والتصور الاسلامي ، إذن ، هو « مجموعة العقائد الاساسية التي تنشئ في عقل المسلم وقلبه ذلك التصور الخاص للوجود وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الارادة من صلات وارتباطات » . (١٩، ص ٤١) وأن مهمة التربية أن تنشئ جيلا يؤمن بذلك .

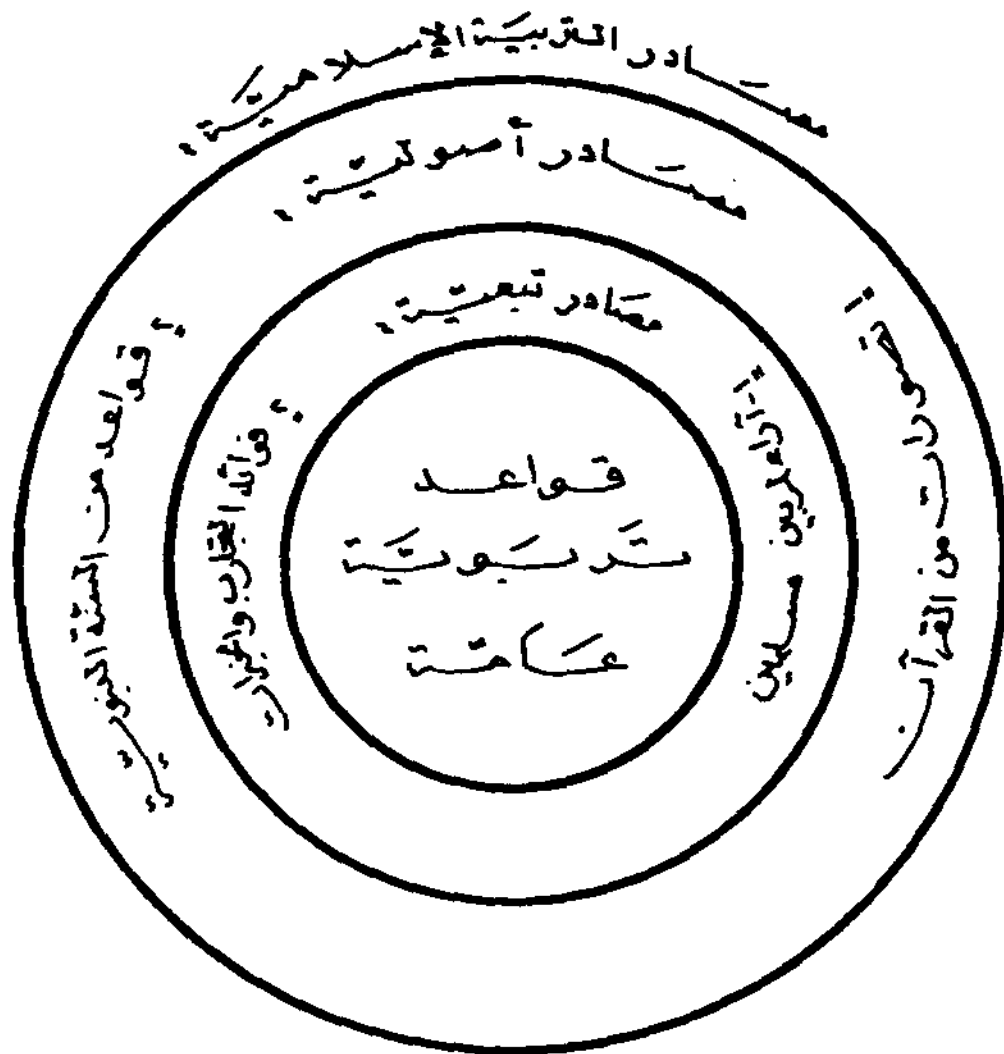
ثامنا : القواعد العامة للتأصيل التربوي

عرّف البحث أصول التربية بأنها : معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى ابتناء العملية التعليمية ، لذلك فإن البحث يطرح فيما يلي مجموعة من القواعد العامة أساسا لأصول التربية الاسلامية ، مستقاة من نصوص الشريعة وروحها ، ومن آراء كبار المربين المسلمين ، ومن خبرات مستقاة من تجارب الآخرين ، نواة للتأصيل المنشود (شكل رقم -٢) .

إن القواعد التي يقترحها البحث ما هي إلا للتمثيل وقابلة للمناقشة والزيادة والتعديل .

من أهم قواعد التأصيل :

- ١- بناء التربية على أصول عقيدة صحيحة خالية من الشوائب ترتكز على :
 - الايمان بالله واحد ، منه الكلم الطيب ، ولرسوله البيان والتفسير ، وعلى مخلوقاته التصديق بما أنزل وما أخبر في حياتهم الاولى الفانية .
 - الايمان بالحياة الباقية ، حياة الموازين والحساب ، حياة الثواب والعقاب.
- ٢- بناء التربية على أصول تطبيقية سليمة تترجم العقيدة إلى طاعة وسلوك ، أي إلى امتثال الاوامر والابتعاد عن النواهي ، والالتزام بالقيم والنصح وحسن المعاملة .
- ٣- بناء الاسس التربوية على محاربة الافكار الهدامة التي تتناقض مع عقيدة



شكل ٢. مصادر اشتقاق أصول التربية في الإسلام

المسلم وعلى رأسها الإلحاد والعلمانية ... وأن ينعكس ذلك جليا على محتوى التعليم ويتبلور في أهدافه ومناهجه .

٤- مناهضة وجهة النظر العلمانية التي هي أساسية في النظام العالمي الجديد ، بطرح الفكرة الكلية في الكون والانسان والحياة للتصور الاسلامي في ميدان النقاش العالمي .

٥- فتح باب التعلم والتعليم على مصراعيه لكل راغب بالمعرفة بدما بالاجيال وانتهاء بتعليم الكبار ومحو الامية .

٦- أن يكون الهدف من التربية تحقيق مرضاة الله ، والهدف من التعليم بناء الشخصية المسلمة التي تجعل الاسلام أساسا للتفكير والميل والسلوك ...

٧- أن يبنى المناهج على تعلم كل ما يلزم للحياتين ، حياة الدنيا وحياة الآخرة ، على حد سواء ، أي على العلوم الدينية والدنيوية ، التراثية والعصرية ، الى جانب التخصصية والثقافية ، النظرية والتجريبية .

٨- أن يبنى التعلم على قاعدة تكريم الانسان وتقدير حريته ومراعاة خصائصه ومراحل نموه ، ومعاملته بالرفق والمسنى ...

٩- أن يغرس في المتعلم المسلم اتجاهين في آن واحد . فهو يحطم الافكار الضالة ، وقيم الفكر الاسلامي ، وهو يهدم التربية العلمانية ويبني التربية الاسلامية ، ويبعد الظلام ويشعل النور ، وهو - كما قيل - نارا تحرق الفساد ، ونورا يضيء طريق الهدى .

١٠- أن تهيأ الاسباب والوسائل الكفيلة بتحقيق القواعد السابقة من مخطط ناجح ، ومعلم مؤهل ، ومنهج قويم ، وكتاب صالح ... إلى جانب نظام تعليمي متكامل يوسع دوائر التأليف والترجمة والبحث ، لتوفير التقنيات ، وتحقيق المهارات والكفايات ، وتهيئة المختبرات والمكتبات ...

المراجع

- ١- الافندي ، محمد حامد : نهج مناهج إسلامية . مكة المكرمة : المركز العالمي للتعليم الاسلامي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٢- ابن منظور : لسان العرب ، مج ١ ، بيروت : دار صادر ، د. ت .
- ٣- الولي ، طه : « الطرفان سياسيان فلا يرجح زعم الاسلاميين - التدين بين الحكومات والمنظمات الاسلامية المتطرفة » . صحيفة الحياة ، العدد ١٠٩١٧ ، ٧ رجب ١٤١٣هـ (٣ ديسمبر ١٩٩٢م) ، ص ١٣ .
- ٤- بورجا ، فاسوا : الاسلام السياسي - صوت الجنوب . ترجمة د. لورين زكري ، القاهرة : دار العالم الثالث ، ١٩٩٢م .
- ٥- باشا ، أحمد فؤاد : « نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي » . بحث مقدم إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الاسلامي قسنطينة ، الجزائر ، ١٩٨٩م ، من منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن ، ص ٣٦٩ - ٤٠١ .
- ٦- Longmans English Larousse, 1968, p. 822 .
- ٧- المعجم الوسيط ، ط ٢ ، بيروت : دار الامواج ، د. ت .
- ٨- المودودي ، أبو الاعلى : المنهج الاسلامي الجديد للتربية والتعليم ، ط ٢ . جمعه وقدم وعلق عليه : محمود مهدي الاستانبولي ، بيروت ، دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٩- منكور ، علي أحمد : المفاهيم الاساسية لمناهج التربية . الرياض : دار أسامه للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ .

١- الشمراني ، محمد : « الفحاص العامة للإسلام » ، مذكورة في مقرر ١٠٢ سلم ،
الرياض : جامعة الملك سعود ، قسم الثقافة الاسلامية .

١١- عبد العظيم ، علي : فلسفة المعرفة في القرآن . القاهرة : الهيئة العامة
لشئون المطابع ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٢- أحمد ، مهدي رزق الله : السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية -
دراسة تحليلية . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الاسلامية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٣- الاسعد ، عبد الكريم محمد : أحاديث في تاريخ الخلافة وفي بعض
القضايا . الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ،
وفيه قول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين .

١٤- صحيح الباري وشرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، القاهرة : مكتبة
الكتبات الازهرية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . انظر كذلك جامع الاصول في
أحاديث الرسول للإمام مبارك بن محمد بن الاثير ، وتقرير مقدم من الطالب
خالد بن صالح القرشي « ملامح عن الطريقة التربوية النبوية كما تروى لنا
السنة » ، ١٤١٠هـ .

١٥- جامع الاصول في أحاديث الرسول للإمام المبارك بن محمد الاثير ، ج ٢ .

١٦- الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية) للشيخ صفي الرحمن مبارك
فوري .

١٧- اسماعيل ، محمد محمد : الفكر الاسلامي . بيروت ، مكتبة الوعي ،
١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .

١٨- باشا ، أحمد فؤاد : « فلسفة العلوم بنظرة اسلامية » ، مجلة المسلم
المعاصر ، العدد ٤٣ ، رجب ١٤٠٥هـ - أبريل ١٩٨٥م ، ص ١٤١ -
١٤٧ .

١٩- قطب ، سيد : مفاهيم التصور الاسلامي ، ط ٢ . القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٧هـ .

٢٠- القبيسي ، عبد الله محمد : التربية العامة والتربية الاسلامية . الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

٢١- انظر الكيلاني ، ابراهيم زيد : « موقف الفكر الاسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة » . بحث مقدم إلى ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المنعقدة بمكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٠١ - ١٤٥ . كذلك حسنه ، عمر عبيد : « المسلمون من التكنيس إلى الابداع الحضاري » . مجلة الآفة ، قطر ، العدد ٧٠ ، شوال ١٤٠٦هـ - يونيو ١٩٨٦م ، ص ٦٠ - ٦٨ . وايضا : كشميري ، محمد عثمان : « مناهجنا والتربية الاسلامية » . مجلة البحوث الاسلامية ، العدد ١٧ ، ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣١٥ - ٣٣٣ .

٢٢- انظر الفاروقي ، اسماعيل راجي : « أسلمة المعرفة » ، ترجمة فؤاد حموده ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، شوال - ذي الحجة ، ١٤٠٢هـ - أغسطس - أكتوبر ، ١٩٨٢م ، ص ٩ - ٢٣ . كذلك ، جاد الكريم ، حسني محمود : « أسلمة العلوم » . مجلة الآفة - قطر ، العدد ٦٢ ، صفر ١٤٠٦هـ - أكتوبر ، ١٩٨٥م ، ص ٢٨ - ٣١ . وايضا ، عطيفه ، حمدي أبو الفتوح : « أسلمة مناهج العلوم المدرسية : تصور مقترح » . مجلة الفيصل ، العدد ١٤٥ ، رجب ١٤٠٩هـ - فبراير - مارس ١٩٨٩م ، ص ٦٣ - ٦٦ . وايضا العلواني ، طه جابر فياض : « أسلمة العلوم تهدف إلى توجيه عقل المسلم إلى مرحلة الابداع الحضاري » . المجلة العربية ، العدد ١٦٧ ، ذو الحجة ، ١٤١١هـ - يوليو ، ١٩٩١م ، ص ٨٢ - ٨٣ . وايضا ، عامر ، محمد سعدي : « أسلمة السياسة التعليمية : مجلة الوعي الاسلامي » ، العدد ٢٥٢ ، ذو الحجة ١٤٠٥هـ - أغسطس ١٩٨٥م ، ص ٢٠ - ٢٩ .

٢٣- الصفدي ، أحمد عصام : تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الآفة الاسلامية . الرياض : المركز العربي للدراسات الامنية ، ١٤١١هـ -